الاقتصاد بالالوان - مقاربة رمزية حديثة في الفكر الاقتصادي

ا.د. معن عبود علي م.د. رواء يحيى خلف

عندما يرسم الفنان لوحته ، يلتزم بعناية متوخيا التوازن في الالوان المعروف لدى اصحاب الفنون التشكيلية، فللون لغة خاصة تنساب الى النفوس وكأنها همسات، يتلقاها المتذوق ويتفاعل معها ، وهكذا نجد ان لك شخص منا راحة نفسية واعجاب معين للون من الالوان.

والطلبة الحريصون على تمييز الملاحظات التي يقرأونها سواء في الكتب او في المحاضرات يقومون بتمييزها بالوان معينة ولو بجر خط ملون تحتها.

اذن فالالوان بوصفها جذابة وتأخذ مساحة جيدة في الذاكرة فمن الممكن بل من الراجح استخدامها في اي علم من العلوم لاداء هذا الغرض، ومن هنا ظهرت توجهات حديثة في الفكر الاقتصادي في اوروبا في السنوات الماضية القريبة، لتعطي مقاربة رمزية لتصنيف أنماط الاقتصاد على وفق هويتها الإنتاجية والاجتماعية والثقافية والبيئية. فكل (لون) يرمز إلى نمط من النشاط الاقتصادي يعكس منظومة قيم وأهداف مختلفة عن الآخر، في محاولة لفهم التعقيد الحديث لاقتصاد اليوم، ونحاول في هذا المقال سرد اجمالي لأهم الألوان ومعانيها الاقتصادية.

1. الاقتصاد الاخضر: وهو الاقتصاد الذي يركّز على الاستدامة البيئية وتقليل انبعاثات الكربون، ويقوم على الطاقة المتجددة، وإعادة التدوير، والزراعة المستدامة، بهدف تحقيق النمو الاقتصادي في الناتج المحلي الاجمالي دون تدمير البيئة.
2. الاقتصاد الازرق: وهو الاقتصاد الذي يتناول استخدام الموارد البحرية والمائية بصورة مستدامة، بدأ من مصايد الأسماك وحتى طاقة الأمواج والموانئ الذكية و حصاد المياه وحصاد الرياح وغير ذلك، و ويهدف الى تنمية اقتصادية تعتمد على البحر مع الحفاظ على النظم البيئية المائية.
3. الاقتصاد الأبيض: وهو الاقتصاد الذي يدور حول قطاع الصحة والرعاية الاجتماعية، ولذلك يُعرف احيانات بـ (اقتصاد الرعاية)، ويهدف الى الاستثمار في الإنسان من خلال الصحة والتعليم والرعاية.
4. الاقتصاد البنفسجي: وهو الاقتصاد الذي ينصرف الى التركيز على الثقافة والإبداع بوصفهما مصدرًا للنمو الاقتصادي ومنتجا للسلع الفنية والثقافية، ومن مواده الفنون والتراث والتصميم، والهوية الجمالية للمجتمع، ويهدف الى جعل الثقافة قيمة إنتاجية تُسهم في التنمية المستدامة، ويعد شارع المتنبي في بغداد بما يمثله من جاذب سياحي مصداقا للاقتصاد البنفسجي.
5. الاقتصاد البرتقالي: وهو الاقتصاد الذي يرتبط بالبعد الإبداعي والتكنولوجي، ومن امثلته الالعاب الالكترونية والبرامج الاحصائية فضلا عن الإعلام الرقمي و البرمجة والابتكارات الرقمية الاخرى، ويهدف الى خلق ميزة نسبية من خلال رأس المال البشري تركز على الابتكار من اجل المتاجرة.
6. الاقتصاد الاسود: وهو الاقتصاد المستند الى انتاج الوقود الاحفوي مثل الفحم والنفط الخام والغاز، ويوصف بانه اقتصاد ريعي، ومن سمات البلدان التي يكون هذا الاقتصاد سائدا فيها انها توصف بالبلدان الغنية، ولكن في الوقت ذاته تكون شعوبها داخل معاناة الفقر والحروب وعدم الاستقرار الامني والسياسي، ولهذا اطلق البعض عليها (لعنة الموارد) و (فضلات ابليس).

7. الاقتصاد الذهبي: وهو من الاقتصاد الذي يعتمد على الاستثمار المالي، والذي يوصف ايضا بالاستثمار غير المباشر، ويكون معرضا لمخاطر الازمات المالية كونه يرتبط بـالاوراق المالية والذهب والسيولة من اجل المضاربة في اسواق راس المال.
8. الاقتصادالرمادي: وهو الاقتصاد غير المنظم رسميا، والذي يفتقر الى مؤسسات دولة ترعاه، ومن امثلته عمال المسط والباعة البسطاء في الاسواق والباعة المتجولون، بل حتى التجارات الكبيرة غير الخاضعة للتنظيم الحكومي . وقد يصل في بعض الدول الى أكثر من 40٪ من النشاط الاقتصادي الفعلي.
9. الاقتصاد الأحمر: وهو الاقتصاد الذي يرتبط بالتوجهات الاشتراكية مدعيا ان هدفه تحقيق العدالة الاجتماعية، وقد اثبت فشله في سابقا عام 1990 مع تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وانهيار جدار برلين، ولكن توجهاته لم تنتهِ بعد، الا انها اليوم اكثر تأكيد على الكفاءة والمعايير الاقتصادية الاخرى في العملية الانتاجية.

ان الاقتصاد بانماطه المختلفة التي ترسمها الالوان المذكورة يجب ان يكون هدفه الانسان اولا واخرا، وهذا ما لا يضمنه بشكل مؤكد اي لون من الالوان السابقة، ولن تفعل ذلك كل النظريات او المقولات، واللازم عليه اي الانسان ان يكدح في سبيل تحقيق العدالة التي يتوخاها.

من جانب اخر فانه من المؤسف ان الاقتصاد العراقي اليوم وضمن التلوين اعلاه، يوصف بانه اقتصادا اسودا ريعيا، في حين انه يمتلك مقومات الاخضر والازرق والبنفسجي، بل ليس بعيدا عن المنال ان يحمل الجيل القادم طيف الاقتصاد البرتقالي، بالاخص اذا ما عملت الجهات المختصة على اشاعة الاقتصاد الابيض، لان الاقتصاد البرتقالي يولد من رحم الاقتصاد الابيض، واخيرا لسنا نستبعد ان يحدث السيناريو المتفائل فيسود الاقتصاد الذهبي عندما يكون بلدنا امنا مطمئنا بعيدا عن الاضطرابات السياسية والامنية.

وفي الختام ندعو الباحثين الى تناول هذه الالوان بما تصفه من اقتصادات في بحوثهم لتحديد حجم كل نمط في داخل الاقتصاد العراقي قياسا الى الناتج المحلي الاجمالي، وبث التوصيات لزيادة حجم هذا اللون في الاقتصاد وتقليص اللون الاخر.